أثر البيئة التميميَّة في الدرس النحويّ

بقلم الدكتورة / نجاة عبدالرحمن علي اليازجي
(عميدة كلية التربية – الأقسام العلميَّة - الطائف)

مُقدّمة:

لا يمكن أن ننكر بحال من الأحوال أثر البيئة في حياتنا، واللغة ظاهرة من الظواهر التي كان للبيئة أثر واضح فيها.

والنحو العربي من علوم هذه اللغة، بل هو من أهم علومها.وقد تتابع العلماء على تبيين منزلة علم النحو والحاجة إليه، قال الإمام أبو عبد الله محمد الفرج الصِّقلي المعروف بالذَّكي: "تأمَّلت مراتب العلوم، فلم أر علماً أنفع، ولا أجدى، ولا أجمع لمصالح الدين والدنيا من علم النحو الذي به يتوصّل العبد إلى معرفة ما شرّع الله عزّ وجلّ، من فرض، وندب، وحظر وإباحة، وبه تفهم سائر معاني القرآن وأحاديث النبي عليه السلام، وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان المشتملة على تفصيل الحلال والحرام، وقد ذُكر أن الخليفتين عليهما السلام أبا بكر وعمر كانا يقولان : (لحفظ بعض إعراب القرآن أحبّ إلينا من حفظ بعض حروفه)[١]"

وتميم القوم المستعربة الذين ينتمون إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام، وممن يُعرَفُونَ بالعدنانية، هم من الأقوام الذين ساهموا في الرقيّ بهذه اللغة، فكان أثر لهجتهم- على اختلافهم فيما بينهم- واضحاً وبيّناً في الدراسات النحوية.

يرجع نسب تميم إلى تميم بن مرّ بن أد بن طابخة وينتهي نسبهم إلى عدنان، ولهم فروع متعددة وكثيرة، ولذلك أُطلق عليه لقب"الجُفَّان"والجُفّ كما ورد في لسان العرب هو العدد الكثير[٢].

وقد احتلت اللغة التميمية المكانة التي يجب أن تحتلها بين لغات العربية، وتبدو هذه المكانة في تفسير من فسّر من العلماء قول الرسول صلى الله عليه وسلم"إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف كلها كافٍ شافٍ"[٣]

وكانت الأقوال في تفسير هذا الحديث تربو عن٣٥قولاً، والذي يهمنا فعلاً هنا هو أن من العلماء من فسّر الأحرف باللغات، مثل أبي عبيد القاسم بن سلام[٤] وثعلب، وقد عدّ بعضهم اللغة التميمية واحدةً من هذه اللغات[٥].

وعى القدماء أهمية هذه اللغة، فجعلوها مع بعض اللغات الأخرى مما يعتدّ بها، يقول أبو النصر الفارابي في الألفاظ والحروف"والذين عنهم نقلت العربية وبهم اقتدي وعنهم أخذ اللسان الغربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم أتكل العربي في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام"(٦).

وقد تميزت لغة تميم من بين اللغات الأخرى بفصاحتها وبعدها عن الحوشي وبلاغتها بدليل قول الطبري في تفسيره"قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل خمس رجلٌ فاختلفوا في اللغة فرضى قراءتهم كلهم فكان بنو تميم أعرب القوم"(٧).

وتفاوت هؤلاء القوم في فصاحتهم، قال أبو عمرو بن العلاء"أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم"وعقب السيوطي على ذلك فقال:"سفلى تميم يعني بني دارم"(٨). وعلى ذلك فقد كانت تميم في عصر التدوين قبلة اللغويين ممن كانوا يجمعون العربية عن لسان أهلها، فكانت مقصدهم، وقد حرص هؤلاء على أن يأخذوا اللغة من أصحابها، بل كان منهم من يفد إلى الحواضر حيث يقيم العلماء وقد أطلق على هؤلاء لقب الرواة.

إن الله عزّ وجلّ سخّر الله تعالى لهذه اللغة رجالاً، كان همهم واهتمامهم الحفاظ على هذه العربية من الضياع، ولا يمكن أن تُنكر جهود هؤلاء، وقد ساعدت بيئتهم الثقافية والأدبية على تحقيق ما نذروا أنفسهم لتحقيقه.

فمن خطبائهم أبو صفوان خالد بن صفوان بن عبد الله، كان أحد فصحائهم رواية لأخبار العرب، وسميراً للخلفاء جالس السفاح وخالداً القسري، يروى أنه نصح يوماً هشام بن عبد الملك خليفة بني أميّة، وأطنب في النصح ضارباً الأمثال

فبكى هشام حتى أخضل لحيته، وبلّ عمامته، فأقبلت الموالي والحشم على خالد يسألونه: ما أردت إلى أمير المؤمنين؟ أفسدت عليه لذته ونغصت مأدبته فقال خالد: إليكم عني، فإني عاهدت الله عزّ وجلّ ألا أخلو بملك إلا ذكّرته الله عزّ وجلّ، ثم رجع إلى فسطاسه[٩].

ويأتي على رأس اللغويين من تميم أبو عمرو بن العلاء[١٠] فهو علامة العربية، وجهوده في الحفاظ عليها واضحة جلية فيما أُثر عنه من أخبار، قال عنه يونس بن حبيب "لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء، كان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو كله في العربية، وشهد له الخليل بن أحمد الفراهيدي بقوله: "إن أبا عمرو كان سيد الناس، وأعلمهم بالعربية، والشعر، ومذاهب الناس، أخذ عنه الكثيرون منهم أشهر من عرفتهم العربية في الرواية وهم أبو زيد الأنصاري، وأبو عبيدة معمر بن المثنى والأصمعي، وعليه قرأ أهل الكوفة أشعارهم"[١١].

ومن نحاة بني تميم المشهورين النضر بن شميل الملقب بأبي الحسن فقد أشتهر بأنه من نحاة البصرة واشتهر بثقة الناس فيه وكان صاحب غريب وفقه.

ومنهم الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة المجاشعي، كان في البصرة إمام اللغة.

ومن أئمتهم في النحو[١٢] الإمام ابن ولاد النحوي، أبو العباس أحمد بن محمد الوليد التميمي المصري وكان شيخ الديار المصرية في اللغة، ولم يكن له نظير إلا أبو جعفر النحاس، وكان من الأدباء المعدودين، والحفّاظ المشهورين والمفسرين، وهو أحفظ الناس عند أبي علي النيسابوري عندما قال: (ما أعلم إني رأيت مثله)[١٣].

ومن أكثر شعراء تميم ممن يستشهد بشعرهم ويحتج به، جرير بن عطية الخطفي ويرجع نسب هذا الشاعر إلى تميم، وهو أشعر العرب عند كثير من الناس[١٤]، سئل ابن مناذر بمكة "من أشعر الناس، قال: من إذا شئت لعب، ومن إذا شئت جد "يعني جريراً[١٥].

ومنهم بلال بن جرير والفرزدق، وشعر الأخير مصدر من مصادر اللغة حتى قيل: "لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة".

ولتميم- كما أسلفت- تأثير واضح في النحو العربي، ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن المقصود باللغة التميمية في اللغة النموذجية التي اشتركت فيها مجموع القبائل التميمية بكل فروعها وبطونها وأفخاذها، وهي اللغة التي وردت على لسان فصحاء القبائل التميمية في مجموعها، فإذا عثرنا على نص نحوي ينسب لهجة ما لعدي أو مازن أو بلعنبر فإن هذه اللغات لا تمثل لغة تميم عامة كنصب بني يربوع وطهية(لثاء حيث)واختلافهم عن بقية فروع تميم الأخرى في رفعها.

إذاً جهود بني تميم في الحفاظ على اللغة واضحة، ولم يُعرف لقوم فضل في اللغة كفضل بني تميم، وتأثر اللهجة التميمية في النحو العربي لا يمكن أن يُغفَل في هذا الباب، وقد كانت لهم أساليبهم النحوية الخاصة سواء ذلك في الأدوات أو المسائل النحوية، مع اختلاف في كثير من المواضع، ونحن إذ نشير إلى هذه السمات النحوية عند تميم فإننا نترك جانباً تأويلات النحويين الأخرى وذلك لأن هذه العلل كثيرة ومتشعبة.

١- في باب ما وليس ولا:

هذه الأحرف تتفق في معنى النفي، أما ما ولا عند النحويين فهما حرفان بينما ليس فعل جامد يفيد النفي وإن كان عند جمهور من الناس حرفاً.

أ- ما[١٦]:

ذهب التميميون مذهباً خاصاً في ما النافية، فقد أهملوها، ورأوا عدم تأثيرها في الجملة الاسمية، فالمبتدأ والخبر بعدها يظلان مرفوعين في مثل قولنا"ما خالدٌ فائزٌ"ولهذه اللغة مذهب في القياس، قال سيبويه في إهمالها وإعمالها"كما أن ما كلَيسَ في لغة أهل الحجاز ما دامت في معناها، وإذا تغيرت عن ذلك أو قدم الخبر رجعت إلى القياس، وصارت اللغات فيها كلغة تميم"[١٧].

وقد التقت طائفة كبيرة من العلماء على ظاهرة الإهمال والانتصار للغة تميم في ذلك، ولم تكن تميم وحدها من القبائل التي أهملت عمل ما[١٨]، بل إننا نرى الكسائي يعزو هذا الإهمال أيضاً إلى نجد وتهامة.

واللغة التميمية في إهمال(ما)قرئ بها في القراءات الشاذة، فالمفضل بن عاصم قرأ قوله تعالى:﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُم﴾بضم التاء،وقرأ ابن مسعود قوله عزّ وجلّ:﴿مَا هَذَا بَشَرٌ﴾ بضم الراءوإذا انتقلنا إلى الشعر رأينا الفرزدق التميمي يخالف أهل جلدته فيعمل ما،قال السيرافي "قال سيبويه وزعموا أن بعضهم قال وهو الفرزدق:

وما أعيدُ لهَم حتى أتيتُهم أزمانَ مروانَ إذ في وحشِها غُرَرَ
فأصبحُوا قد أعادَ اللّهُ نعتَهم إذ هم قريش وإذ ما مثلَهم بشرُ"[١٩]

والشاهد هنا قوله:ما مثلَهم بشر في إعمال ما عمل ليس مع تقدم خبرها وهذا غير جائز حتى عند من أعمل ما عمل ليس.

وقد اتفق كثير من النحاة على استعمال ما التميمية غير العاملة في الشعر وذلك استناداً إلى رواية الأصمعي الذي قال:"ماسمعته في شيء من أشعار العرب،يعني نصب خبر ما المشبهة بليس"[٢٠] قال بعض النحويين تعقيباً على هذا القول:"فتصفحته فوجدته كما ذكر ما خلا ثلاثة منها،منها اثنان فيهما خلاف:قول الفرزدق السابق(وإذا مثلَهم بشر)وقول الآخر:

رؤبةُ والعجّاج أورثاني نجرين ما مثلَهما نجرانُ

كذا روي بنصب مثلهما في قول الفرزدق:

وأنا النّذيرُ بحرة مسودة يصل الأعم إليكم أقوادها
أبناؤها متكنفون أباهم حنقوا الصدور وما هم أولادَها[٢١]

وأهل اللغة في قياس ما وإهمالها على لغة تميم،فسيبويه يقول بقياسية التميمية ويوافقه على ذلك كثير من النحاة في قوله"وأما بنو تميم فيجرونها مجرى أما وهذا هو القياس لأنها ليست بفعل وليس ما كليس ولا يكون فيها إضمار[٢٢] "وأظن أن الذي دفع سيبويه إلى الحكم بقياسية ما التميمية هو عدم اختصاص ما،فهي مختصة بالدخول على الاسم وهي تدخل على الفعل أيضاً،وذهب ابن جني هذا المذهب أيضاً في الخصائص"[٢٣].

ب – لا :

يقصد بـ لا هنا التي لا تكون في نفي الجنس، وإنما التي تحتمل نفيه ونفي الواحد، والتميميون لم يعملوها، كما لم يعملوا ما قبلها، قال ابن عقيل في شرحه[٢٤] "ومذهب تميم إهمالها" وقال الرضي "وغير الحجازيين وهم بنو تميم لا يعملونها مطلقاً"[٢٥].

وعلى كل حال فإن القول بجواز إعمالها أو إهمالها لم يعثر عليه إلا في عصور متأخرة، وكان أول من أشار إلى ذلك المطرزي ت ٦١٦ هـ فهو أول من تكلم في إعمال لا أو إهمالها، نسب الأول إلى أهل الحجاز والآخر إلى تميم.

ج – ليس:

مذهب التميميين في (ليس) إهمالها عمل الفعل الناسخ إذا سبق خبرها بإلا، نحو "ليس ملاكُ الأمر إلا طاعة الله" برفع ملاك وطاعة على أنهما مبتدأ وخبر قيل "إن عيسى بن عمر الثقفي جاء إلى أبي عمرو بن العلاء فقال "يا أبا عمرو: ما شيء بلغني عنك تجيزه ؟ قال: وما هو ؟ قال: بلغني أنك تجيز ليس الطيب إلا المسك بالرفع، فقال أبو عمرو: ذُهبَ بك يا أبا عمرو نمت وأدلج الناس ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب ولا في الأرض تميمي إلا وهو يرفع"[٢٦].

ومع ذلك فإن "ليس" عند التميميين لم تبق محافظة على أصلها وهو رفع الخبر إلا عند انتقاص النفي بدخول إلا على الخبر.

٢ – في باب خبر لا النافية للجنس :

قال التميميون وبعض الطائيين بإسقاط خبر لا النافية الجنس، وذهبوا إلى أبعد من ذلك فلم يلفظوا به أبداً، وقد التزموا حذفه في جميع المواضع إذا عُلِم، وهذا تفسير ما قاله أبو حيان[٢٧] في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ . وعقب الزمخشري على هذا الحذف بقوله "بنو تميم لا يثبتونه في كلامهم أصلاً"[٢٨].

٣ – في باب عسى واخلولق وأوشك والمطابقة بينهما وبين ما سبقها من الأسماء:

هذه الأفعال عند التميميين تطابق المسند إليه المتقدم عليها باتصال ضمير يطابق ذلك الاسم في نوعيته وعدده، فلغة تميم تقول مثلاً خالد عسى أن يجلس، وفاطمة عست أن تجلس، والخالدان عسيا أن يجلسا، والفاطمتان عستا أن تجلسا.

ويبدو أنَّ هذه الطريقة التي سارت عليها تميم تطابق ما سارت عليه في بقية الأفعال الأخرى وأعني(المقاربة والرجاء والشروع)وذلك عندما يتقدم المسند إليه المسند وقد انتصر عبد الله بن مسعود لرأي الكوفيين في قراءته ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ ﴾ ، فقد قرأها وفق اللغة التميمية.

٤ – تمييز "كم" الخبرية:

تذهب كتب النحو العربي إلى أن تمييزكم الخبرية يكون:

١- جمعاً مجروراً .
٢- مفرداً مجروراً.
٣- منصوباً عندما يفصل بينه وبين كم .
٤- منصوباً دون فاصل .

وهذه كلها لغة تميم .

وقد قاس بعض العرب تمييزها على تمييز كم الاستفهامية وهو الإفراد مع النصب وهو لغة عند تميم.

٥ – نصب الجزأين بأن وأخواتها:

يذهب بعض تميم إلى نصب اسم وخبر إن وأخواتها بشكل مطلق، أما سائر تميم فإنهم يذهبون إلى نصب الاسم ورفع الخبر بإنَّ وأخواتها جميعاً.

فبعض التميميين ورد عنهم المثل"ليت القسّي كلّها أرجلاً"جاء في مجمع الأمثال كذا وُردَ وهي لغة تميم، وكأنهم يريدون إعمال ليت إعمال أفعال الظن فينصبون بها الجزأين معاً[٢٩]، ويؤيد هذا الفريق رأيه بقول العجاج:

يا ليت أيامَ الصِّبا رواجعاً

ومن أمثال العرب"ليت القسّي كلّها أرجلاً"وهي لغة لبعض تميم[٣٠].

وتأييد ذلك عند هذا الفريق قول الشاعر:

كأنّ أذنيه إذ تشوّفا قادمةً أو قلماً محرّفَا

والشاهد هنا في نصب مبتدأ وخبر كأنَّ الاسم والخبر معاً (أيامَ الصِّبا رواجعاً) وقد عزا بعضهم ذلك للغة تميم[٣١].

وخلاصة ما ذهب إليه علماء اللغة أن للعرب في إعمال أن وأخواتها لغتين الأولى في نصب الاسم رفع الخبر وهي السائدة،والثانية لغة قوم رؤبة بن العجاج وهي في نصب الاسم والخبر.

٦ – كان بين النقص وتمامها :

يشير سيبويه إلى عدم إعمال التميميين لكان إلا ناقصة،ولا تستعملها تامة أبداً فهو يقول:"وتقول إذا كان غدٌ فأتني وإذا كان يوم الجمعة فالقني،فالفعل لغد واليوم،كقولك:إذا جاء غدٌ فأتني وإن شئت قلت:إذا كان غداً فأتني وهي لغة بني تميم"[٣٢].

وقد ذكر بعض النحاة أن بني دارم وبني نهشل- وهما من تميم- يجعلون النكرة اسماً لكان والمعرفة خبراً،ويستشهد على ذلك بقول الفرزدق:

أسكرانُ كانَ ابنُ المراغةِ إذ هجاَ تميمياً بأرضِ الشَّام أم متساكرُ

وقد ذكر أبو جعفر أن بعض تميم يجعلون"كان"حشواً حين قال:"وبنو تميم الشاميون يجعلون كان حشواً كما قال الفرزدق:"

فكيف ولو مَرَرتُ بدارِ قومٍ وجيرانٍ لنا كانُوا كرامِ

يد وجيرانٍ كرامٍ : لنا كانوا.

وخلاصة القول"إن تميماً لا تستعمل كان إلا ناقصة بخلاف الآخرين الذين يجيزون مجيئها تامة".

٧ – مذ ومنذ:

يذهب أغلب التميميين إلى رفع ما بعد مذ ومنذ على أنهما ظرفان،ولا يستعمل التميميون منذ بل يذهبون إلى استعمال مذ فقط،روى الرضي هذا عن

التميميين بقوله"منذ لغة أهل الحجاز، وأما مذ فلغة تميم وغيرهم، ويشاركهم فيه أهل الحجاز، وحكى أيضاً أن الحجازيين يجرّون بهما مطلقاً، وأن التميميين يرفعون بها مطلقاً"(٣٣).

وإذا كان للتميميين نظرتهم الخاصة في استعمال هذه الأدوات، بل واختلافهم فيما بينهم فيها، فإن وقفتهم كانت أكثر إشكالية في فهمهم لبعض مسائل النحو:

(١) – بين الفعلية والإسمية للفعل هلمّ:

أسماء الأفعال هي ألفاظ تشبه الأفعال من حيث عملها، ولكنها غير متصرفة، ولا تقبل العلامات الإعرابية، فهي مبنية دائماً على حركة آخرها، ومع هذا فلتميم مذهب خاص في اسم فعل من هذه الأفعال هو هلمّ، ويقرر سيبويه في كتابه أن للعرب في هلمّ لغتين(٣٤):

الأولى:عدم إلحاق ضمائر الخطاب المسندة إليها بها.

الثانية:أن نعاملها معاملة فعل الأمر ويكون ذلك بإلحاق الضمائر فيها، فيقال مثلاً:هلم يا خالد، وهلُمِمنَ يا نساء وكذلك إلحاق نوني التوكيد فيها، وقد نسبت هذه الطريقة وهي الثانية إلى تميم، وجرى مجراها كبار النحويين من أمثال سيبويه والمبرد والزمخشري وابن يعيش وابن هشام.

وقد وسع العلماء اللغة التميمية هذه فنسبوها إلى نجد بشكل عام كالجوهري والفيومي وأبي جعفر النحاس(٣٥).

وإذا كانت هذه الروايات متناقضة، إلا أنه لا يمكن أن يكون هناك تعارض فيها، فتميم كانت تقيم بنجد، وقد تكون هذه الظاهرة نطقت بها بعض القبائل المجاورة لتميم، وما ينقض هذه اللغة حقاً هو ورودها في القرآن الكريم لمرتين:الأولى في قوله تعالى:﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾ [سورة الأنعام، آية ١٥٠]، والثانية في قوله تعالى:﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [سورة الأحزاب، آية ١٨].

(٢)- أمس:

للعرب في كلمة أمس مذاهب كثيرة، وما يهمنا هنا مذهب التميميين فيها، فهم يرون رفعها بالضمة مع منعها من الصرف، وبناؤها على الكسر في

حالتي النصب والجر، وقد نسب هذا إلى تميم، والآخرون من تميم يرون أن تُعَامل معاملة الممنوع من الصرف فترفع بالضمة وتنصب وتجر بالفتحة فيقال مثلاً: مضى أمسُ وكذلك في الجر مثل قول الراجز:

لقد رأيت عجباً مُذ أمسَا عجائزاً مثل السَّعَالي خمسا

وحكى ابن أبي الربيع أن بني تميم يعربونه إعراب ما لا يتصرف إذا رُفِعَ أو جُرَّ(بمذ) أو (منذ) فقط[٣٦].

(٣) – حيث:

الأشهر في استعمالها بناؤها على الضم، وهي لغة كثير من القبائل، إلا أنها جاءت في بعض الروايات بالفتح، وهي لغة بعض القبائل من العرب كطهية ويربوع من بني تميم قال الكسائي: "سمعت في بني تميم من بني يربوع وطيهة من ينصب الثاء على كل حال الخفض والنصب والرفع فيقول حيثَ التقينا، ومن حيث لا يعلمون ولا يصيبه الرفع في لغتهم"[٣٧].

وقد ذكر سيبويه هذا حين قال: "وقال بعضهم حيث شبهوه بأين"[٣٨].

وأشار ابن مالك إلى الأخذ بلغة تميم حين قال: "حيث مبنية على الضم وقد تفتح"[٣٩].

وإذا كان القوم قد اختلفوا من حيث المبدأ في بنائها على الضم أو على الفتح فإنهم لم يختلفوا على بنائها، فهي في كلتا الحالتين مبنية .

(٤) – باب سنين واخواتها :

باب سنين هو جمع لكل كلمة ثلاثية حذفت لامها وعوض عنها بهاء التأنيث مثل عِضَة، وعِزَة، وإرَة، وثبة، وفُلة، وللعرب فيها عدة روايات منها إلحاقها بجمع المذكر السالم أي بالواو والنون رفعاً، وبالياء والنون نصباً وجراً، أما الوجه الآخر فهو إلزامها الياء والنون في جميع الحالات وجعل الإعراب على النون، ويقول الفرّاء في ذلك "وهي كثيرة في أسد وتميم وعامر"[٤٠]، ويقول صاحب شرح التصريح تعقيباً على ذلك: "إن النون منونة غالباً على لغة بني عامر

وغير المنونة على لغة بني تميم"[٤١] والكلمات هذه لا تنطبق عليها ما ينطبق على جمع المذكر السالم بل تنطبق عليها شروط جمع التكسير فقد زيد عن تميم على مفرد كلمة سَنَوٌ حرف النون وتغيرت حركاته وقلب حرف العلة الواو ياءً.

ومما يؤيد هذا الرأي،أي جمعها جمع تكسير وعدم حذف النون عند إضافتها من مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم في إحدى روايتين"اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف"ومثل قول الصمة القشيري:

ذَراني من نجد فإن سنينَه لعبْنَ بنا شيباً وشيَّبنا مُرْداً

ويُفهم من تعقيب الفرّاء على النهج التميمي أن هذا الصنف من الكلمات نقصت لامه فلما جمعوه بالنون توهموا أنه فُعول إذ جاءت الواو وهي واو جِماع فوقعت في موقع الناقص فتوهموا أنها الواو الأصلية،وأن الحرف على فعول،وعلى ذلك فإن تميماً ولا ريب في هذا- اختارت الجمع بالياء والنون لحالات الإعراب الثلاث وفق حالة إعرابية واحدة.

(٥) – فَعال علماً لمؤنث:

لبني تميم في فعال لغتان: الأولى لغة أكثر بني تميم،فإنهم يعربون ما جاء على وزن فَعال إعراب ما لا ينصرف في جميع الحالات إلا إذا كان مختوماً بالراء فإنهم يبنونه على الكسر،والثانية هي لغة لبعض تميم وهي إعراب ما لا ينصرف مطلقاً،يقول سيبويه عن لغتي تميم:"واعلم أن جميع ما ذكرنا إذا سميت به امرأة فإن بني تميم ترفعه وتنصبه وتجريه مجرى اسم لا ينصرف،ألا ترى أن بني تميم يقولون هذه قُطامُ وهذه حذامُ،لأن هذه معدولة عن حاذمة،وقطام معدولة عن قاطمة أو قطمة،وإنما كل واحدة منهما معدولة عن الاسم الذي هو علم ليس عن صفه كما أن عمر معدول عن عامر علماً لا صفة،فأما ما كان آخره راء فإن أهل الحجاز وبني تميم فيه متفقون،ويختار بنو تميم فيه لغة أهل الحجاز"[٤٢].

وكذلك فعل الزمخشري في تأييد مذهب التميميين حين قال"وبنو تميم يعربونها ويمنعونها من الصرف إلا ما كان آخره راء كقولهم: حضار وجعار"[٤٣].

وقد فصل الرضي الاستراباذي القول تفصيلاً حسناً بقوله"وبنو تميم افترقوا فرقتين أكثرهم على أن ذات الراء من هذا القسم مبنية على الكسر للوزن

والعدل المقدر كحضار، وإنما قدروا العدل فيها تحصيلاً للكسر اللازم بسبب البناء، إذ كسر الراء مصحح للإمالة المطلوبة"[٤٤].

وخلاصة القول هنا أنه إذا كان الإعراب مرحلة سابقة على البناء فالنهج التميمي في الكلمات التي ليس آخرها راء يمثل النهج القديم، وقد وسع الجوهري دائرة اللغة التميمية فنسبها إلى نجد بصفة عامة وهذا ما كان عند ابن منظور وصاحب اللسان والجوهري حتماً يعني بنجد هنا تميماً.

(٦) – فْرَادٌ وفْرَادُ: ويقال فْرَادى وفُراد:

بعض التميميين يجعلون من"فرادٌ" كلمة مصروفة، قال الفرَّاء"والعرب تقول:قومٌ فُرَادى وفُرَاد فلا يجرونها شبهت بثلاث ورباع"واللفظ في لغته التميمية جاء على وزن فُعال والقاعدة العامة تقول:إن كل ما جاء على هذا الوزن وكذلك وزن مفعل من الألفاظ مثل أُحاد وثُلاث فإنه يمنع من الصرف، ويذكر النحاة أن علة ذلك الجمع بين العدل والصفة، فأحاد وثلاث معدولان عن واحد وثلاثة، ولفظ فراد على الرغم من أنه يدل على العدد المفرد إلا أنه من غير لفظ واحد، فكان من الطبيعي ألا يمنع من الصرف، وهذا ما هو متحقق عند التميميين والكلابيين المجاورين لهم في نجد وقد وردت هذه الكلمة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾، وبهذه الصيغة قرأ جمهور القراء ، ولكن قرئ في الشواذ وفق اللغة التميمية (فراداً) كقراءة أبي عمرو وعيسى بن عمر.

(٧) – عكاظ بين صرفها ومنعها من الصرف:

منع التميميون عكاظ من الصرف فقالوا: رأيت عكاظَ ومررت بعكاظَ وهذه عكاظُ بدون تنوين، قال اللحياني"وتميم لا يجرونها"[٤٥] قال طريف بن تميم العنبري :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إليّ عريفهم يتوسّم

وقال دريد بن الصمة:

تغيبت عن يومي عكاظ كليهما وإن يك يوم ثالث أتغيب

وقد يكون منع الصرف عند قبيلة تميم يعود إلى أنهم تخيلوا الوصف في هذا الاسم، كما منع العرب صرف أجدل وأخيل أو لعلهم جعلوا تأنيث هذا الاسم هو العلة الثانية مع العلمية، وهو رباعي فمنع من الصرف للعلمية والتأنيث كما تمنع الأسماء عادة.

(٨) – هيهات :

وردت هذه الكلمة بصيغ تزيد عن الأربعين منها :هيهاتُ وهيهاتَ وهيهاتٍ من غير تنوين، ووردت أيضاً هيهاتٌ وهيهاتاً وهيهاتٍ، قال الزمخشري"هيهات بفتح التاء لغة أهل الحجاز، وكسرها لغة أسد وتميم ومن العرب من يضمها، وقرئ بهنَّ جميعاً وقد تنون على اللغات الثلاث"(٤٦).

وإذا كان جمهور القرَّاء قرأ قوله تعالى:﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ بفتح التائين من غير تنوين فإنه قرئ بها في الشواذ كذلك ببعض اللغات الأخرى ومنها اللغة التميمية في قوله هيهاتِ بالكسر، فقد قرأ بها أبو جعفر وعيسى الثقفي.

(٩) – إعراب ضمير الفصل:

إن الكثيرين من بني تميم يعربون ضمير الفصل مبتدأ وما بعده خبر له، في حين أن فريقاً منهم يذهب إلى أنه في حال الفصل لا محل له من الإعراب، وإعرابه هو لغة أكثر تميم بدليل قول سيبويه:"وقد جعل كثير من العرب هو وأخواتها في هذا الباب اسماً مبتدأ وما بعده مبني عليه فكأنه يقول:أظن زيداً أبوه خيرٌ منه، ووجدت عمراً أخوه خيرٌ منه، ومن ذلك أنه بلغنا أن رؤبة كان يقول:أظن زيداً هو خير منك، وناس كثير من العرب يقولون(وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون) ، وقال الشاعر وهو قيس بن ذريح:

تبكي على لبنى وأنت تركتها ... وكنت عليها بالملا أنت أقدر"(٤٧).

إن عدم إشارة سيبويه للتميميين في إعراب ضمير الفصل مبتدأ لا ينفي هذا عنهم، فرؤبة العجاج، والعجاج منهم، إلا أن ما يلفت النظر حقاً هو أن بعض التميميين اعتبروا في موضع آخر هذا الضمير للفصل، فجرير حين يقول:

وكائن بالأباطح من صديق ... يراني لو أصبت هو المصابا

وقد جوّز النحاة ومنهم ابن هشام اللغة التميمية، فرفع ما بعد ضمير الفصل فقد قال إن في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ثلاثة أوجه: الفصل وهو أرجحها، والابتداء وهو أضعفها ويختصّ لغة تميم، والتوكيد"[٤٨].

(١٠) – مبرورٌ، ماجورٌ، آمين :

وردت كلتا الكلمتين الأولى والثانية في الدعاء مرفوعة على ألسنة التميميين، قال ثعلب: "أهل الحجاز يقولون مبروراً مأجوراً وتميم مبرورٌ مأجورٌ" فتميم ترفع هاتين الكلمتين على إضمار أنت، ويذهب كثير من علماء اللغة إلى ضعف رواية تميم على الرفع لأنها قد تفقد الدعاء عندما نقول أنت مبرورٌ ومأجور.

أما كلمة آمين، فلو أن التميميين سموا رجلاً بآمين لقالوا: حيث جاء آمينٌ ورأيت آميناً ومررت بآمين بالتنوين، فالقياس عند التميميين آمين مسمى به رجل هو الإعراب والصرف ويفضل سيبويه مذهب التميميين فهو يقول: " وأما بنو تميم فيرفعون على كل حال وهو أقْيَسُ القولين"[٤٩].

(١١) – المثنى وما يلحق به:

لم يجر التميميون على القاعدة في إعراب المثنى من رفعه بالألف ونصبه وجره بالياء، بل ذهبوا إلى الالتزام بالألف في الحالات كلها ، قال السيوطي: "ولزوم الألف في الأحوال الثلاثة لغة معروفة عزيت لكنانة وبني الحارث بن كعب، وبني العنبر، وبني الهجيم، وبطون من ربيعة، وبكر بن وائل، وزبيد، وخثعم، وهمدان، ومراد، وعذرة"[٥٠].

هذه القبائل نجدها موزعة، وما يهمنا منها فعلاً بنو العنبر وبدر الهجيم ابنا عمرو بن تميم فهي من القبائل التميمية. وفي تخريج قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ قال أبو حيان: "والذي نختاره في تخريج هذه القراءة أنها جاءت على لغة لكنانة، حكى ذلك أبو الخطاب، ولبني الحارث بن كعب وخثعم وزبيد وأهل تلك الناحية حكى ذلك عن الكسائي ولبني العنبر وبني الهجيم ومراد وعذرة"[٥١].

وقال صاحب الهمع"ولزوم الألف في الأحوال الثلاثة لغة معروفة عُزيت لكنانة وبني الحارث بن كعب وبني العنبر وبني الهجيم وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وزبيد وخثعم وهمدان ومراد وعذرة"(٥٢).

وإذا كانت القبيلتان التميميتان قد انفردتا بين القبائل التميمية، فإن بعضهم رجح أن تكون هذه لغة تميم الأم منهم ابن خالويه فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١﴾، روى ابن خالويه قراءة أخرى هي: ﴿فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانِ﴾ ترى بدلاً من(تراءى)وبقيت الجمعان بالرفع هكذا فقال: (فلما ترى الجمعان) . قال عيسى: هي لغة تميم"(٥٣).

(١٢) – بعض الأسماء الستة (أب، أخ، حم) :

العرب ترفع هذه الأسماء عادة بالواو و وتنصبها بالألف وتجرها بالياء، ومنهم من يقصرها أي يلزمها الألف في حالات الإعراب الثلاث، وقد ذكر ابن مالك أن القصر خاص بثلاثة أسماء من الستة وهي:أب، أخ، حم، جاء في نوادر أبي زيد"وقالت امرأة من بني سعد، جاهلية ولم أسمعها من المفضل:

وقد زعموا أني جزعت عليها وهل جزعت إن قلت يا بأباها

قال يُقَال:بأبا أنت وأمي، فاستثقلوا الباء مع الكسرة قبلها ففتحوها، ونسب الكسائي هذه اللغة إلى بلحارث وزبيد وخثعم وهمدان، ونسبها أبو الخطاب لكنانة، ونسبها بعضهم لبلعنبر وللهجيم وبطون بن ربيعة"(٥٤).

والواضح أن من بعض هذه القبائل التي ذكرت هي قبائل من بني عمرو بن تميم.

وبعد، فإن هذا البحث حول البيئة التميمية وأثرها في الدرس النحوي، قد أشار إلى لغة تميم، وموقعها بين اللغات الأخرى، متتبعاً بعض ما جاء على لسان التميميين واختلافهم مع القبائل الأخرى سواء في بعض مفردات النحو، أو في بعض مسائل النحو ولا يخفى أن اختلاف هذه اللغات هو السبب المهم في اختلاف النحاة، وهو الذي أدّى بالتالي إلى نشوء مدرستي البصرة والكوفة.

هوامش البحث :

١- القرطبي ٢٣/١.
٢- اللسان مادة جفف ٣٧٣/١٠.
٣- الإتقان ١/ ١٦٤.
٤- الطبري٣٦/١.
٥- القرطبي ٢٨/١ .
٦- المزهر ٢١١/١.
٧- تفسير الطبري ٤٥/١ .
٨- الإتقان ١٦٩/١.
٩- الأغاني ١٤٠/٢ .
١٠- أخبار النحويين للمقرئ ص ١٠٥.
١١- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ٢٩.
١٢- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ص ١٥٦.
١٣- الأشباه والنظائر ٩٥/٣- ٩٦.
١٤- الشعر والشعراء لابن قتيبة٤٦٤/١.
١٥- أخبار النحويين للمقرئ ص ٤٢.
١٦- (ما) المزعوم زيادتها إعداد د/ هدى محمد متولي إبراهيم، ١٤٢٣هـ.
١٧- الكتاب ١٢٢/١.
١٨- الخصائص ١٠/٢ .
١٩- ديوان الفرزدق ص ١٨٥.
٢٠- شرح المفصل ١٠٨/١ .
٢١- الأشباه والنظائر في النحو ٢/ ٥٨.
٢٢- الكتاب ٣٩/١ .
٢٣- الخصائص١٠/٢.
٢٤- ٧٢/١ .
٢٥- شرح الرضي٢٩٣/٢.
٢٦- الأمالي للقالي ٣/ ٣٩ والمزهر ٢/ ٢٧٧.
٢٧- البحر المحيط:١٥٩/٦ قوله:((التزم حذفه بنو تميم)).
٢٨- المفصل في صنعة الإعراب ص ١٧ .
٢٩- شرح الأشموني ٤٠٢/١.
٣٠- خزانة الأدب ٢٩١/٤ .
٣١- شرح الأشموني ٤٠٤/١.
٣٢- الكتاب ١٣٧/١ .
٣٣- شرح الرضي على الكافية ٢/ ١٧.

٣٤- الكتاب ٥٢٩/٣ .
٣٥- النحاس ١٢٧/١ ،الهمع١٢٦/٥.
٣٦- شرح الأشموني ٤٧٤/٣.
٣٧- لسان العرب ١٤٠/٢ .
٣٨- الكتاب ٢/ ٥١.
٣٩- تسهيل الفوائد ص ٩٧ .
٤٠- معاني القرآن٢/ ٩٢.
٤١- شرح التصريح ٩/١ .
٤٢- الكتاب ٤٦/٢ .
٤٣- المفصل في صنع الإعراب ص ٥٧.
٤٤- شرح الرضي على الكافية ٢ / ٧٤ .
٤٥- اللسان ٧/ ٤٤٨.
٤٦- المفصل ٤/ ٦٥.
٤٧- الكتاب ٤٦٣/١ .
٤٨- مغني اللبيب ٢/ ٦١٤.
٤٩- الكتاب ٤٧٢/١ .
٥٠- همع الهوامع ١/ ٤٠.
٥١- البحر المحيط ٦/ ٢٥٥.
٥٢- همع الهوامع ٤٠/١ .
٥٣- مختصر شواذ القرآن ص ٥٠٧.
٥٤- شرح شواهد الأشموني ١/ ٧٠.

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن- السيوطي- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- القاهرة١٩٧٤م.
٢- كتاب أخبار النحويين- للمقرئ- تحقيق محمد زينهم محمد عزب،دار الآفاق العربية، القاهرة١٤٢٣هـ.
٣- إعراب القرآن- لأبي جعفر النحاس- تحقيق د/زهير غازي زاهد، عالم الكتب،بيروت ط٣ ، ١٤٠٩هـ.
٤- الأغاني – الأصفهاني- طبعة دار الكتب المصرية.
٥- الأشباه والنظائر في النحو- السيوطي- حققه عبد الرؤوف سعد- مكتبة الكليات الأزهرية.
٦- الأمالي- أبو على القالي البغدادي – القاهرة١٩٢٦م.
٧- البحر المحيط – أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف – القاهرة ١٣٢٨هـ.

٨- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لأبي عبد الله بن مالك – تحقيق محمد كامل بركات- القاهرة١٩٦٧م.
٩- تفسير الطبري- جامع البيان عن تأويل القرآن – لأبي جعفر بن جرير الطبري- تحقيق محمود محمد شاكر- القاهرة- دار المعارف.
١٠- الجامع لأحكام القرآن–تفسير القرطبي- أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي- دار إحياء التراث الإسلامي- بيروت- ١٩٨٥م.
١١- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شرح شواهد الكافية- البغدادي ط١ بولاق.
١٢- الخصائص- لابن جني- تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي–بيروت.
١٣- ديوان الفرزدق–دار بيروت للطباعة والنشر–بيروت ١٣٨٥هـ.
١٤- شرح ألفية ابن مالك، لابن عقيل، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- دار الفكر- بيروت١٤٠٥هـ.
١٥- شرح التصريح- لخالد الأزهري- القاهرة١٢٩٤هـ.
١٦- شرح الرضى على الكافية- الرضي الاستراباذي- الأستانة١٢٧٥هـ.
١٧- شرح ألفية بن مالك للأشموني- تحقيق عبد الحميد السيد- المكتبة الأزهرية- القاهرة.
١٨- شرح المفصل لابن يعيش- أبو البقاء بن يعيش- القاهرة- المطبعة المنيرية.
١٩- الشعر والشعراء- لابن قتيبة–تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، دار الحديث، القاهرة١٤١٧هـ.
٢٠- الكتاب- سيبويه- تحقيق عبد السلام محمد هارون – القاهرة١٩٧٧م.
٢١- لسان العرب- ابن منظور جمال الدين محمد بن جلال الدين- القاهرة ١٣٠٧هـ .
٢٢- (ما)المزعوم زيادتها- إعداد/هدى محمد متولي السداوي، جامعة الأزهر، الزقازيق، مصر، ١٤٢٣هـ.
٢٣- المزهر في علوم اللغة – السيوطي- تحقيق محمد أحمد جاد المولى.
٢٤- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب- لابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية –بيروت ١٤١١هـ.
٢٥- المفصل- جار الله محمود بن عمر الزمخشري- ضمن شرح المفصل لابن يعيش.
٢٦- نزهة الألباء في طبقات الأدباء- أبو البركات عبد الرحمن الأنباري- القاهرة.
٢٧- همع الهوامع – السيوطي- القاهرة ١٣٢٧هـ.